الفصل السادس

تجارة النبيذ

كان النبيذ من السلع التجارية الهامة في الأناضول التركي ويبدو أن الأمراء الأتراك كانوا يعاقرون الخمرة، وتذكر المصادر أن أومور أيدينوغلو الذي عُرف بورعه! كان يعاقر الخمرة[1]، ويقال أنه شرب حتى ثمل إبان أحد الاحتفالات[2] وهناك دلائل أخرى تشير إلى استهلاك الخمرة بكثرة في الولائم الكبيرة[3]. غير أنه من الثابت أن السلطان محمد الثاني كان يتجنب الخمرة مخالفاً بذلك الكثيرين من قومه[4].

كان النبيذ سلعة تجارية بالغة الأهمية في منطقتي شرقي المتوسط والبحر الأسود، وكان يُستورد من جنوبي إيطاليا وكذلك من بروفانس وكريت وقبرص التي اشتهرت بجودة نبيذها في القرون الوسطى، كان النبيذ المعروف بـ«مالفوازي» Malvoisie مطلوباً بصفة خاصة، وهو نبيذ حلو المذاق اختصت

obeikandl.com

به جزيرة كريت ومن ثم أصبح الاسم يطلق على صنف معين من الخمرة بصرف النظر عن بلد المنشأ[5]. كان النبيذ مادة أساسية بالنسبة للتجار الجنويين الذين كانوا يصدرونه عن طريق رومانيا، ويبدو أن تجارة النبيذ كانت تدر على أصحابها أرباحاً وفيرة[6]. وقد امتدت تجارة النبيذ على يد التجار الجنويين لتشمل بلاد المغول حيث استخدموا النبيذ كعملة لتسديد نفقاتهم ولشراء سلع أخرى مثل التوابل والحرير والأحجار الكريمة التي كانوا يصدرونها إلى الغرب الأوربي[7].

كان الأناضول التركي يستورد ويصدر النبيذ في آن واحد، ويصف الرحالة ابن بطوطة خلال مروره بـ ثيولوغوس كروم العنب المنتشرة على ضفتي نهر قريب[8]. وتذكر المصادر أن العنب الأسود المجفف كان يصدر من بلات (بلاتيا) وضواحيها في نهاية القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر[9]. كما كانت الأعناب تصدر من غالبولي وأجزاء من الأناضول التركي إلى القسطنطينية[10]. وتذكر المصادر أن 63 قنطاراً من الزبيب بيعت في صمسون بـ 221.5 هايبربيرُن (72,62 أسبر للقنطار)[11]، ومن ثم تم تحميلها على سفينة تجارية وتذكر الوثائق اسم مالك السفينة وأجور الشحن التي بلغت 137 هايبربيرُن و17 قيراط[12]. ويبدو من الوثائق أن تاجراً تركياً يدعى أحمد كان في الأصل قد قايض هذه الكمية من الزبيب مقابل كمية من القماش[13] على أساس تقدير سعر الزبيب بـ 127 هايبربيرُن وهذا المبلغ أقل من

السعر الذي بيع به الزبيب لاحقاً في صمسون.

وبالإضافة إلى تصدير العنب بأشكاله كان الأناضول التركي ينتج ويصدر النبيذ. ومن المرجح إن لم يكن من المؤكد، أن صناعة النبيذ كانت حكراً على النصارى. والجدير بالذكر في هذا السياق أن الحاكم المغولي تيمورطاش سنة 1320 أو نحو ذلك، عمد إلى منع السكان النصارى من بيع النبيذ[14]. ومن المناطق التي كان يزرع فيها العنب في القرن الثالث عشر مغري وآنيا إلى الغرب من آيدين، ومن هذه الأمكنة كان التجار البنادقة يصدرون النبيذ إلى الخارج[15]، وثمة ما يؤكد أن البيزنطيين كانوا يفرضون ضريبة على النبيذ المصدر من آنيا[16]. ومن المناطق التي اشتهرت بتصدير الخمور : تريليا وانجرليمان وجيرسان التي تقع على البحر الأسود إلى الغرب من طرابزون[17]. ويبدو أن هذا النبيذ أو بعضه كان يباع في بيرا وشافا وتانا[18]. وقد اشتهرت أيضاً كبادوشيا (كبوشيا) بصناعة النبيذ في القرن الثالث عشر. ويقال أن السلطان محمد الثاني قد تذوق خمرة «بايشهر» خلال وجوده في تلك المنطقة[19]. وثمة دلائل على أن النبيذ كان يباع في آيدين للأجانب حسبما ورد في اتفاقية بين أمير أيدين وسنكتا أونيو Sancta unio[20].

بالإضافة إلى صناعة النبيذ وتصديره كانت بلاد الأناضول تستورد النبيذ الذي يُفترض أنه كان ذا نوعية أفضل من النبيذ المحلي. كان تجار الخمور الجنويون ينقلون النبيذ بحراً من

نابولي إلى ثيولوغس[21]. وكان اليونانيون أيضاً يتاجرون بالنبيذ وهناك وثيقة يعود تاريخها على سنة 1437 تؤكد ذلك[22].

كان النبيذ المصدر إلى بلاد الأناضول يخضع لضريبة إبان القرن الرابع عشر، بمعدل فلورن ذهبي عن كل «بوطة» (تعادل البوطة بالمكيال الحديث حوالي 500 لتر)[23]. أما في منتشا فقد كانت الضريبة تعادل 50 أسبر عن كل بوطة[24]. وقد بقيت هذه الرسوم الضريبية ثابتة خلال القرن الرابع عشر ومطلع القرن الخامس عشر[25]. وقد وقعنا على اتفاقية مبرمة بين أمير آيدين ودوق كنديا سنة 1337، تنص على إعفاء التجار البنادقة من رسوم الاستيراد على جميع السلع باستثناء الصابون والنبيذ الذي بلغت ضريبة استيراده فلورن واحد عن كل بوطة[26]. وفي اتفاقية لاحقة أبرمت بين هذين الطرفين سنة 1353، نجد الرسم نفسه على استيراد النبيذ[27]. والجدير بالملاحظة أن القماش لم يكن من بين السلع المستثناة كالصابون والنبيذ، علماً أن القماش كان من أهم السلع التي كان الغرب يستوردها. وتفسير ذلك ربما يكمن في أن صادرات القماش كانت أكبر حجماً من الصادرات الأخرى. وبالتالي لم يكن البنادقة على استعداد لتحمل ضريبة مماثلة على هذه السلعة.

كان النبيذ يخضع لضريبة في كل من «فوتشيا الجديدة» New Phokaea وخيوس حيث بلغت الضريبة نصف فلور على «البوطة»، وبقيت كذلك خلال الفترة الممتدة من 1351 حتى

بداية القرن الخامس عشر[28]، وفي فوقيه الجديدة بلغت الضريبة في مطلع القرن الخامس عشر 4 فلورن على البوطة[29]. واستناداً إلى تقديرات الباحثين[30] بلغت الضريبة في النصف الأول من القرن الرابع عشر 23 أسبر في آيدين و50 أسبر في منتشا و11.5 أسبر في خيوس. تبين هذه الأرقام أن الضريبة في منتشا كانت أعلى بشكل ملحوظ من الضريبة الماثلة في آيدين، وكذلك نلاحظ أن الضريبة في فوقيا الجديدة كانت أعلى بكثير من الضرائب المماثلة في خيوس والإمارات الأخرى. والجدير بالذكر أن هذه الضرائب بقيت ثابتة في كل من منتشا وخيوس خلال القرن الرابع عشر ومطلع القرن العشرين.

كان النبيذ المستورد يخضع أيضاً لضريبة من حين لأخر[31]. ففي آيدين بقيت الضريبة نافذة حتى سنة 1337. وهناك فقرة في اتفاقية أُبرمت تلك السنة بين منتشا ودوق كنديا مفادها أنه يحق لأمير منتشا ابراهيم أن يفرض ضريبة على حجر الشبّ المستورد، فقط في حال عمد أمير آيدين إلى فرض ضرائب على استيراد النبيذ والصابون[32] و حجر الشبّ والواقع أن أمير أيدين أعفى سنة 1337 التجار البنادقة من ضرائب الاستيراد على النبيذ والصابون فقط[33]. وفي اتفاقية لاحقة سنة 1358[34] ألغيت الضريبة على حجر الشبّ. يستدل مما تقدم أن الإمارات التركية كانت إلى حد ما تتنافس في علاقاتها التجارية مع التجار الأوروبيين وتتصرف على ضوء مصلحتها قياساً بالإمارات

الأخرى. ومن جهة أخرى يتضح أن حجر الشبّ كان يدر دخلاً أكبر من النبيذ أو الصابون.

استمر التجار البنادقة في منتشا في استيراد النبيذ دون أن يترتب عليهم دفع ضرائب أو مكوس. خلال القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر[35]. أما في خيوس وفوقيه فقد بقيت تجارة النبيذ تخضع لرسم ضريبي. وقد بقي هذه الرسم الضريبي سارياً حتى سنة 1351[36]. وتظهر وثيقة بتاريخ 1404 أن الضريبة في خيوس آنذاك بلغت نصف فلورن على كل «بوطة» من النبيذ[37].

ذكرنا سابقاً أن أميري منتشا وآيدين كانا يحتكران تجارة النبيذ[38]. ولكن يبدو أن هذا الاحتكار لم يكن مطلقاً أو غير مقيد. وقد ورد في المصادر أن أمير منتشا كان سنة 1331 يتمتع بحق شراء النبيذ المستورد قبل أي شخص آخر. كان يسمح للتجار بعرض نبيذهم في مكان معين. بحيث يتسنى لكاتب الأمير (نامدار) أن يتفقد البضاعة ويتفق مع البائع على سعر معين إذا رغب في الشراء شريطة أن يسدد الثمن خلال عشرة أيام[39]. ويرى بروفيسور زكريادو أن لفظ «نامدار» مشتق من كلمتي «نامة» و«دار» وتعني الأولى بالفارسية كتاب، أما الثانية فتعني حامل ـ حامل الكتاب[40] ـ في حين يرى دكتور جوكوف أن لفظ نامة أو ناما باللغة اليونانية يشير إلى الخمرة المستخدمة في الطقوس الكنسية وأن الكلمة صارت فيما بعد كلمة

يستخدمها العوام بمعنى الخمرة بوجه عام[41]، وهناك تفسيرات أخرى لهذه التسمية[42][43].

وأياً كان الأمر فمن الواضح أن الـ «نامه دار» كان موظفاً ذا صفة رسمية يتولى أمر شراء النبيذ لسيده الذي كان يبيعها فيما بعد. أما إذا لم يبد الأمير رغبة في شراء المعروض فكان يحق للتاجر أن يبيعها لمن شاء وكيفما شاء[44]. والواقع أن أمير منتشا كان يطبق هذا المبدأ على السلع الأخرى المستوردة إلى بلده. وهنا ينبغي أن نلاحظ أن الأمير كان يمتلك حق الاحتكار وقد يمارس هذا الحق أو لا يمارسه.

لكن العثمانيين الذين أتوا فيما بعد أخضعوا بعض السلع لاحتكار الدولة، كالأخشاب مثلاً خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر[45]. وربما كانت آيدين إحدى الإمارات التي احتُكرت فيها تجارة النبيذ، ودليلنا على ذلك أن أمير آيدين منح أرملة آخر والي بيزنطي على ثيولوغوس حق احتكار بيع النبيذ لتجار البلدة[46].

مصادر وهوامش الفصل السادس

1 Envcri. La destan d'Unutr Padza (Du.ctunrarne-i Enveri). Texte, translation et notes, cd. I. Melikoif-Sayar,
(Pans, 1954). p. 60.

2 Enveri, Owen, p. 70.

3 Enveri, Dest an, p. 95.

4 1454.i.25 Nicola Sagundino in Agostino Pertussi. La C'aduta di C'ostantinopoli (Milan. 1976), vol II, L˜eco ate! Mondo. p. 130.

5 Piloti was granted the privilege of importing to Alexandria five bottes of malvoisie a month by the Mamluk sultan Faraj: Piloti, L'Egyptc, pp. 102-3.

6 Ilalard, Ronwnic génoise, vol. II, pp. 845-6.

7 Balard, Rornanie génotce, vol. II, p. 845.

8 Ibn Battuta, Voyages, p. 309.

9 Piloti, L'Egypte, p. 61: 'cebibo noires, qui sont roisons de quaresme'.

10 Piloti, L˜Egypte, pp.62-3. The raisins were 'armelins', a type of Egyptian raisin.

11 1437.xii.18 = Badoer, Libro, col. 44. p. 89.

12 l436.t20 = Badoer, Libro, col. 44,p. 88, cal. 43, p. 87.

13 1436.i.14 = Badoer, Ltbro, cal. 43, p. 86, col. 42, p. 85; cal. 42, p. 84, col. 13, p. 27.

14 S. Vryonis, 27w Decline of Medieval Hellenisrn (Berkeley, 1971), p. 225, citing Karim al-Din Mahmud, a contemporary of the events, who stated that Timurta˜ imposed what ibn Arabi had advised the sultan Kaykaus I (1211-20). Among ibn Arabi's advice was that Christians not be allowed to sell wine.

15 1278.iii = Tafel and Thomas, (Jrkunden, vol. III. no. 370, p. 159 if. Giovanni Bembo ˜vent c.1275 from Negroponte to 'Macrem de Turchia' and loaded wine and grain (pp. 196-7); Michaelc de Verona sailed to Ania about the same time to load wine (p. 239); Nicolao Dente and Fllippo Bono, again around the same period, also went to Ania for wine (p. 254).

16 1278.iii Tafel and Thomas, Urkunden, no. 370, p. 239: Micbaele de Verona complained of being made to pay cornrnerchiu,n by the emperor's officials in Ania of 18 hyperpyra for 2 viatici ('fuisse comerclatuzn per comcrclarios, qui ibi erant (i.e. in Ania] ... pro duobus viaticis in XVIII

yperperis'). Ibid., p. 254: Nicolao Dante and Filippo flono complained of the same thing, also in Ania ('comerclatis in Ania per comerclarios domini Imperatoris dixere dicti judices, debere reddi VIII yperpera, que solverint pro ipso conierclo').

17 Balard, La Roman ic ginoise. vol. 11. p. 844.

18 Vryonis. Decline. p. 413; Babinger. Mehmed. p. 399.

19 Pegolotti, Prauica, p. 24.

20 1348.viii.18 = Zachanadou, Trade and Crusade, doe. 1348A, clause 19. p.209.

21 Musso. Navigazione, pp. 169-70.

22 1437.iii.31 = Badoer, Libro, col. 125, p.252.

23 Pegolotti, Pratica. p. 56.

24 The regale was the same as the buta de ,nena de Napoli and was a common wine measurement in Romania: see Zachariadou, Trade and Crusade, p. 149. A bttta was between 501 and 515 litres: see Schilbach, Metrologie, pp. 112. 135.

25 1337.pre-iv. = Zachariadou, Trade and Crusade, doc. 1337M, clause 22, p. 198; 1 375.iv.22 = ibid. doe. 1375M, clauses 22. p. 222,28. p. 223; 1403.vii.24 = (bid, doe. 1403M, clause 22, p. 231; 1407.vi.2 = (bid, doe. 1407M, clause 22, pp.236-7.

26 1337.iii.9 = Zachariadou, Trade and Crusade, doe. 1337A, clause 7, p. 191.

27 1358.iv.7 = Zachariadou, Trade and Crusade, doe. 1353A, clause 20, p. 214.

28 1404.xii.l5 = Argenti, Chtos,vol.ll,pp. 161, 164,165,166; l405.xi.26ibid.,p. 172.

29 1405.ii.l4 Argenti, Chios, vol. ll, p. 171.

30 The comparative rates are based on al-'Umari's rate of one o.kge to 0.75 of a dir/tern, and the rate given in a court decision in Crete of one ducat per 30 or 32 ale ce: see Zachariadou, Trade and Crusade, pp. 140-l and Santschi, Regestes, a. 354, p. 90. Professor Zachariadou calculated the duty in Mentqe as 1.66florms for 50 akgein comparison with that charged in Aydm. However, as the rate given for Aydin appears in the treaty of 1353 it would seem better to calculate at the rate based on al-'Umarl rather than that for the end of the century: see Zachariadou, Trade and

Crusade, p. 157.

31 Pegolotti, Prat ice, p. 56.

32 1337.pre iv. = Zachariadou, Trade and Crusade, doe. l337M, clause 28, pp. 199-200.

33 1337.iii.9 = Zachariadou, Trade and Crusade, doe. 1337A, clause 11, p. 192.

34 1358.x.13 = Zachariadou, Trade and Crusade, doe. 1358/1359M, clause 8, p. 218.

35 1337.pre iv. = Zachariadau, Trade and C'rusade, doc. 1337M. clause 22, p. 198; ibid, doc. l375M. clauses 22. p. 222 and 28, p. 223. 1403.vij.24 = ibid. doe. 1403M, clause 22, p. 231 and doe. 1403M. DVL, clause 22. p. 231. .Doc. 1403M refers to gabella and doe. 1403M, OVL to datiw,i.

36 1404.xii.15 = Argenti, Chloe, vol. II, pp. 161, 164, 165, 166. The rate is repeated in l405.xi.26 = ibid.,p. 172.

37 1404.xii.16 = Argenti, Chios, vol. II, p. 167. This phrase is repeated in a list of taxes paid in New Phokaea, 1405.ii.l4 ibid., p. 170.

38 Zachariadou, Trade and Crusade, p. 171.

39 l33l.jv.l3 = Zacbariadou, Trade and Crusade, doe. l33lM, clause 13, pp. 188-9.

40 See Zachariadou, Trade and Crusade, p. 135 and n. 577.

41 Zbukov, 3reflane 3Mnpaml, p. 84.

42 Porphyrogenitos, De Cerernonii.; I, p. 134, 25. 1 am grateful to Miss Chrysostomides for her advice on this point.

43 Zhukov. 3reinaie 3MupaTbr, p. 84.

44 133l.iv.13 Zachariadou, Trade and crusade, clause 4, p. 188.

45 Halil Inalcik. 'Bursa and the commerce of the Levant', .IESHO 3/2 (1960), 147.

46 Ludolphus de Sudheim. Ludolphi rectoris ecclesiae parocliialis in Suchem. De ilinere Terrae Sa,,ctae liber. ed. F. Dcycks, in Bibliot hale des Litterarischen Vereins XXV (Stuttgart, 1851), p. 25.